الفصل الأول

المتحف

الأصل والتطور

أصل ونشأة المتحف

يعود أصل كلمة متحف كما هى فى اللغات الأوربية الحديثة إلى اليونانية القديمة أو اللاتينية حيث يرتبط بكلمة Musa والتى تعنى «سيدة الجبل» أو «امرأة جبلية».

ومما يعرف من الأساطير الإغريقية أن الإله «زيوس» سيد آلهة الإغريق كان له تسع بنات كن يسكن فوق جبل الأوليمب Olymp فى شمال بلاد الإغريق، كن حاميات للشعراء والمغنين ثم من بعد ذلك للفن والعلم بوجه عام، وكان يطلق عليهن جميعاً Muses.

وتعنى كلمة موسيون Museion ذلك المكان الذى يقع تحت حماية ورعاية هذه الآلهة التسعة. وكان المقصود بهذه الكلمة لديهم معهداً للدراسة والبحث العلمى. وكان أشهر معهد من هذا النوع ذلك الذى أسس فى مدينة الإسكندرية على أيدى البطالمة الأوائل حوالى ٢٨٠ ق.م. وربما كان قائماً فى التخطيط الأصلى للمدينة فى عهد الإسكندر الأكبر ٣٣١ق.م. وكان هذا البناء يحوى مكتبة كبيرة وحديقة نباتية وحيوانية ومعهداً للتشريح وآخر للفلك.

وأهم ما فى هذا المعهد أو المتحف السكندرى أنه كان مجمعاً للعلماء البارزين فى شتى فروع العلم مثل الفلسفة والجغرافيا والطب والفلك وعلم الحيوان.

ولقد حوى هذا المبنى تماثيل أشهر المفكرين فى عصور خلت، وكذلك بعض آلات وأدوات الطب مثل أدوات الجراحة وغيرها لرصد النجوم وبروج السماء بالإضافة إلى بعض النوادر مما تجود به الطبيعة كجلود حيوانات نادرة أو أنياب فيلة.....الخ.

والمتحف فى العربية يعنى مكاناً تجمع فيه التحف. (والتحفة شىء نادر ثمين تتزايد قيمته كلما بعد الزمن الذى تعود إليه والمعنى أو الموضوع الذى تدل عليه).

وتعتبر المتاحف من أهم وسائل الاتصال المنتشرة على مستوى العالم كله، حيث يعد المتحف أحد وسائل الاتصال المباشر بين مقتنياته على اختلاف أنواعها وبين الجمهور المشاهد لها. فهو فى أبسط مظاهره بناء يحتوى على مجموعة من الأشياء التى تعرض للناس حيث يشاهدونها، يتعرفون عليها، يتمتعون بجمالها ويدرسونها.

ويعرف المجلس العالمى للمتاحف ICOM المتحف بأنه «كل مؤسسة دائمة تهتم بحفظ المجموعات الفنية والتاريخية والعلمية والتكنولوجية وبدراستها ونجاحه فى عرضها للجمهور بمختلف الوسائل للترويح عنه وثقافته».

و المفهوم الحديث للمتحف لم يكن موجوداً فى العصور القديمة، فلم يكن الإنسان على أيامهم فى حاجة إلى أن يعرض الأعمال الفنية من تماثيل أو رسومات أو نقوش وخلافه فى مبنى خاص حتى يمكن للناس أن يزوروها ويتبينوا الجوانب الفنية والتاريخية فيها. إن الفن لديهم كان فى كل مكان، فى المعابد وفى الميادين وفى الأسواق....إلخ. ولقد كانت طريقة العرض العفوية والتلقائية هذه تعطى للعمل الفنى شيئاً من الحيوية خصوصاً لارتباطه بالمكان الذى يعرض فيه بمعنى ما أو دلالة معينة فى أذهان الناس ولدى مشاهديه. أما أن تجمع هذه التحف والأعمال الفنية فى مبنى وتكون حبيسة ما نسميه بالمتحف فلقد كان هذا بعيداً عن حاجتهم إليه وربما كان باعثاً على الجمود لهذه الأعمال.

ويجب أن نذكر للمصريين القدماء حبهم لكل ما هو جميل وأهم من ذلك لكل ما له قيمة أثرية لتقادم عهده خصوصاً لو ارتبط بمعنى دينى.

فلقد أثبتت أعمال الحفائر فى دهشور للأثرى «أحمد فخرى» أن مصر الدولة الوسطى والأسرة الثانية عشرة (١٩٩١– ١٧٨٦ ق.م) بوجه خاص، قد قامت بعمل تجديدات وتحسينات وإضافات فى بعض مبانى المجموعة الجنائزية للفرعون «سنفرو» من الأسرة الثالثة (٢٦٨٦ – ٢٦١٣ ق.م).

كما أن الأمير «أمينموس» Amenmose، وكان ابناً للفرعون تحتمس الأول ووليا للعهد ومات فى حياة أبيه قد قام بعمل بعض التحسينات أو الإضافات لأبى الهول وملحقاته. كذلك فعل الأمير تحتمس الرابع فيما بعد عندما أزاح عنه الرمال كما يذكر فى لوحة الحلم.

ولقد كان لدى المصريين منذ القدم اهتمام كبير وحب بالغ بآثار أجدادهم لدرجة أن الأمير «خع ام واس» ابن الملك رمسيس الثانى قام على اتساع الجبانة المنفية من الشمال إلى الجنوب بأعمال ترميم وحفر فيها. كما حظى الهرم الأكبر باهتماماته الترميمية وكذلك هرم خفرع. وسجل بعض هذه الأعمال على قاعدة المسلة فى معبد الشمس فى أبو غراب وكتابة أخرى فى معبد «ساحورع» فى أبو صير وثالثة فى مصطبة الفرعون ومعبد «اوسركاف» الجنائزى فى سقارة. وكانت النصوص تفصح

عن المغزى من وراء كل هذا النشاط الأثرى لهذا الأمير فنراه يقول: «..... لقد أحب كثيراً أن يخلد آثار ملوك مصر العليا والسفلى من أجل خاطر صنيعهم تلك الآثار التى قد بدأت تتهاوى».

وهناك قصته مع تمثال الأمير «كاوعب» ابن الملك خوفو والذى عثر عليه فى ميت رهينة حيث انتشله من الرديم الذى غطى مصطبة «كاوعب» أو هيكلها ونقله إلى بيت «الكا» فى «روستاو» ولعله كان من ملحقات معبد بتاح فى ميت رهينة (منف). والمعروف أن المعابد فى العالم القديم قد حوت مخازن لكى يوضع فيها كل ثمين من المعادن والحلى وغيرها.

ولقد حدث بالفعل وفى العصور الهلينية (بعد ظهور الإسكندر) أن كادت بعض دور العبادة الكبيرة أن تتحول إلى شبه متاحف لفنون النحت من كثرة ما حشد فيها من روائع الأعمال، ونعنى بذلك الـ Heraion معبد الإله Hera وزوجة الإله «زيوس» فى جزيرة «ساموس Samos» فى مواجهة الشواطئ التركية.

ومن كتابات المؤرخ اليونانى الشهير بلينيوس أو (بلينى الأكبر)، والذى ولد عام ٢٣م ومات عام ثورة بركان فيزوف ٧٩م، نعرف أن مدينة روما فى عصورها القديمة كانت معابدها ومبانيها العامة المفتوحة للجماهير تعج بالأعمال الفنية وخاصة التماثيل وبأعداد وفيرة.

وفى دولة سيكيون Sicyon اليونانية أسس رواق للصور الملونة يحوى أعمالاً فنية لفنانين محليين من أبناء المنطقة هناك وكان ذلك حوالى ٣٠٠ ق.م. وأصبح هذا الرواق محل دراسة بعد ذلك من قبل المشتغلين فى الفن وكبار الرسامين آنذاك. وبالرغم من كل هذا لم نسمع عن تسمية لمثل تلك المجموعات أو غيرها بكلمة متحف Museum فى العصور القديمة على الإطلاق كما سمعناها عن متحف الإسكندرية مثلاً والذى كان مؤسسة بحث علمية.

وفى زمن الإمبراطورية الرومانية سرت لدى الأباطرة وكبار رجال الدولة حمى جمع التحف والأعمال الفنية الرائعة ومنهم الديكتاتور «سلا» (٨٦ق.م) الذى نهب روائع أثينا ودلفى وكان من أشهر مرتادى أسواق بيع التحف فى المزادات فى روما، وكان زوج ابنته «سكاروس Scaurus» يمتلك فى منزله فى روما أكثر من ثلاثة آلاف تمثال.

ونعرف من خطابات «شيشرون» (٧٠-٦٩ ق.م) وهجومه على «فيريس» Verres حاكم صقلية أن هذا الأخير كان جامعاً للتحف بشراهة كبيرة، إلا أن شيشرون نفسه لم يسلم من تلك العادة التى ذمه بها فكان منزله مليئا بالروائع.

وجاء يوليوس قيصر بإصلاحاته الشهيرة وحزم على الناس أن يجمعوا التحف فى قصورهم الخاصة، وأرادها ملكاً للدولة الرومانية وبدأ بنفسه فأهدى مجموعاته الفنية التى جمعها إلى المعابد.

وكان القائد الشهير أجربا Agrippa، والذى كان صديقاً للقيصر (زوج ابنة أغسطس)، ينادى بفتح كنوز القصور للجماهير وقال إن أحسن ما فى الفن هو أن يكون تحت تصرف الجماهير ولكل من أراد استمتاعاً به.

وفى عصر النهضة برز نشاط ملحوظ لهواة جمع الآثار والتحف، إلا أن البعض رأى أن يفتح مجموعاته للجمهور أو على الأقل للفنانين وطلاب الفن.

وكانت الفترة أواخر القرن الـ١٦ إلى نهاية القرن الـ ١٧ فترة التسابق لدى عظماء وأثرياء وأمراء أوروبا فى جمع التحف والآثار.

وفى بداية القرن التاسع عشر يخرج إلى الوجود المتحف النابليونى الكبير نسبة إلى نابليون بونابرت الذى ما رأى العالم مثله، وكان يجمع روائع من كل البلاد التى فتحها نابليون بونابرت فى أوروبا.

ويعرف أن تأسيس المتاحف الوطنية بمفهومها الحديث- ملكاً للدولة والشعب- أصبح فى منتصف القرن الثامن عشر عادة شائعة. فلقد سارت الأعمال فى بناء المتحف البريطانى من ١٧٥٣- ١٧٥٩ وهى سنة افتتاحه.

وكانت حفائر بومبى قد بدأت قبل ذلك بقليل وتحديداً عام ١٧٤٨. ومن قبل أهدى Ashmole المجموعة التى ورثها عن J. Tredeskin إلى جامعة أكسفورد التى أسست بها المتحف الأشمولى فى عام ١٦٨٣ الذى يمثل أول متحف عام فى بريطانيا.

أنواع المتاحف

تتنوع المتاحف ويختلف بعضها عن بعض وذلك باختلاف وتنوع مقتنياتها فمنها المتاحف الأثرية والمتاحف النوعية والمتاحف التاريخية والمتاحف المتخصصة.

فالمتاحف الأثرية هى المتاحف التى تقتنى الآثار القديمة بعصورها المختلفة، فمنها ما يضم آثار عصور ما قبل التاريخ، أوالعصر الفرعونى، أو اليونانى، أو الرومانى، أو العصر القبطى، أو الإسلامى، أو العصر الحديث، مما مضى عليه أكثر من مائة عام واعتبر أثراً.

أما المتاحف النوعية والتى تهتم باقتناء نوعية من المعروضات مثل متاحف التاريخ الطبيعى والأجناس والسلالات البشرية والتراث وأنواع من الحيوانات والطيور.

والمتاحف التاريخية هى المتاحف التى تحكى تاريخ مكان أو إنسان ما. وكانت فى الأصل قصوراً أو مساكن خاصة تضم مقتنيات تاريخية وتم تحويلها إلى متاحف بما تقتنيه من أثاث وأعمال فنية وتحف.

والنوع الأخير من المتاحف هو المتاحف المتخصصة، وهذه النوعية من المتاحف تضم نوعيات خاصة مثل متاحف البريد والسكك الحديدية والصناعة والزراعة والتعليم إلى آخر ما يمكن أن تضمه من موضوعات فى الآداب والفنون والعلوم.

معايير اختيار موقع المتحف

يجب الأخذ فى الاعتبار مجموعة من الاشتراطات الضرورية والتى ينبغى توفرها عند اختيار مكان ما لإنشاء المتحف به. وتوفير مثل هذه الاعتبارات يجعل من السهل على المتحف أن يقوم بالدور المنوط به فى إثراء الحياة الثقافية للمجتمع وخدمة زواره ومرتاديه. وهذه العناصر يمكن إجمالها فيما يأتى:

- يجب أن يكون المكان المختار لإنشاء المتحف مكانا يسهل الوصول إليه بأكثر من وسيلة وأن تؤدى إليه شوارع على درجة كافية من الاتساع حتى يتسنى للزائرين الوصول إليه ومداومة زيارته دون عناء أو مشقة.
- أن يكون بعيداً عن الأماكن المزدحمة ووسط المدينة بقدر الإمكان. وأن يحيط به مكان كاف لوقوف العربات الخاصة بالزوار.
- أن يكون بعيداً عن المجارى المائية لتلافى ارتفاع الرطوبة النسبية وما تسببه من تلف على المعروضات خاصة العضوية منها.
- أن يكون بعيداً عن المصانع ومناطق الورش منعاً للتأثير الضار للملوثات المنبعثة من هذه المصانع على مقتنياته.
- أن يكون بعيداً عن محطات السكك الحديدية ومحطات المواصلات العامة لتفادى الاهتزازات.
- أن يكون بعيداً عن الأهداف العسكرية.
- أن يكون المبنى على درجة مناسبة من الاتساع لاستيعاب الأقسام والخدمات. وأن تتسم عمارة المتحف وعناصره المعمارية الداخلية والخارجية بالرقى والتطور وبساطة التصميم. وتخدم الهدف الذى أنشئ من أجله سواء لكى يضم تحفاً أثرية من عصور تاريخية مختلفة أم ليضم أعمالاً فنية تنتمى إلى المدارس أو الاتجاهات الفنية الحديثة.

- أن يحيط بالمبنى حديقة واسعة لعرض بعض القطع فى بيئة مفتوحة وخاصة التى تتحمل التغيرات الجوية لكى تعطى مظهراً جمالياً للمتحف يستمتع الرواد بمشاهدتها فى فترات الاستجمام، وتبعث فى نفوس المشاهدين الإحساس بالجمال والفن. وفى نفس الوقت تلعب النباتات والأشجار دوراً هاماً فى تنقية الهواء المحيط بالمتحف من المواد الصلبة العالقة به مثل حبيبات السناج والأتربة والرمال التى تتسبب فى تلف المعروضات إذا تمكنت من التسرب داخل قاعات العرض عبر النوافذ والأبواب والفتحات المختلفة.
- ينبغى التحكم فى مستويات الرطوبة النسبية ودرجة الحرارة والإضاءة ونوعياتها داخل المتحف وذلك لتجنب تلف المعروضات.
- هذا بالإضافة إلى توفير عدد من الصور والشرائح الملونة والملصقات وأفلام الفيديو والوسائل السمعية والبصرية التى تساعد كبار السن والمعوقين على التعرف على مقتنيات المتحف من خلال رؤيتها والتمتع بها.

وتوفير مثل هذه الاحتياطات أو الاشتراطات عند اختيار مكان المتحف أو إنشائه سوف يساعد كثيراً فى قيام المتحف باداء دوره على الوجه المرجو منه.

مكونات المتحف

لكى يكون المتحف مبنى متكاملا محققا الغرض منه فإنه يجب أن يتوفر فيه مجموعة من العناصر الأساسية ويجب أن يكون هناك:

- الإدارات التى تخدم العاملين بالمتحف مثل مكاتب: المدير - الأمناء - الإداريين - الحراسة.....الخ.
- قاعات عرض رئيسية دائمة وقاعات مؤقتة.
- مخازن تتوفر بها الظروف المثالية للتخزين الجيد.
- معامل للصيانة والترميم مزودة بالأجهزة والأدوات اللازمة لصيانة المقتنيات بصفة دائمة والحفاظ عليها.
- قسم للتصوير والتسجيل.
- مكتبة متخصصة فى الآثار والتاريخ.
- مركز لتأمين المتحف والمعروضات ويضم وسائل الإنذار والإطفاء الآلى.
- أماكن للسجلات والوثائق والفيشات.
- مركز تثقيفى لطلاب المدارس والجامعات والأطفال.

- مركز للسيطرة والحماية والتأمين ويضم أجهزة الدوائر التلفزيونية المغلقة وأجهزة الأشعة فوق البنفسجية وضباط وأفراد الحراسة.
- قاعات للمحاضرات.
- مراكز خدمات الزوار والمرتادين مثل بيوت الهدايا وبيع المستنسخات وكافتيريا.

ويجب أن تتناسب هذه الاحتياجات السابقة مع طبيعة المتحف ومكانه وأن يتسم الشكل العام الخارجي لمبنى المتحف بالبساطة والأناقة والتصميم الذى يتوافق والمعروضات به.

مصادر مقتنيات المتحف

تسعى المتاحف دائماً إلى اقتناء الجديد والجديد من المقتنيات والمعروضات المختلفة ذات القيمة الجمالية الفنية أو العلمية أو التاريخية العالية وذلك لجذب أكبر عدد من الزائرين والرواد. وهذه المقتنيات يمكن الحصول عليها من مصادر متنوعة يمكن إجمالها فيما يلى:

١ـ الحفائر

وهى من أقدم وأهم المصادر لحصول المتاحف على مقتنيات جديدة وجذابة حيث تتولى المتاحف ببعثاتها الخاصة أو بالتعاون مع الجمعيات والهيئات العلمية التنقيب عن الآثار وتزويد المتاحف بالجديد منها أو استكمال ما لديها من مجموعات.

٢ـ الهبة (الإهداء)

وهى من المصادر المهمة أيضاً للحصول على مقتنيات وأعمال فنية. وهى إحدى الطرق المتبعة فى سياسة المتاحف لجمع ما هو نادر وثرى. ولعل سعى الإنسان لامتلاك الأشياء النادرة والقيمة فى سبيل الثروة أو لإشباع غريزة حب التملك والفخر وازدياد حبه للاقتناء مع ازدياد مظاهر الحضارة جعل هناك فرصة عريضة للأفراد فى تملك كثير من الأشياء النادرة ذات القيمة. وسنجد أن العديد من المتاحف بل والمتاحف العالمية الكبيرة منها كانت نواتها الأولى عبارة عن مجموعات فردية تبرع بها أحد هواة جمع التحف.

٣ـ الشراء

وهو مصدر آخر من مصادر اقتناء المتاحف للتحف، حيث ترصد بعض المتاحف وخاصة المتاحف الكبيرة ميزانيات خاصة لشراء تحف وأعمال فنية وتاريخية هامة

فى إطار سعيها الدائم إلى إثراء مجموعاتها. لهذا فهى مهمومة بالبحث الدائم عن مقتنيات نادرة وثمينة سواء كانت مملوكة لدى أفراد أم هيئات وتوفير القيمة المادية اللازمة لشرائها.

٤ ـ التبادل

وهو من المصادر الثانوية للحصول على المقتنيات بحكم عدم امتلاك هذه المقتنيات، ونعنى بذلك أن تقوم المتاحف فيما بينها بتبادل القطع الأثرية أو المقتنيات الفنية التى تكمل المجموعات الناقصة فى المتحف الآخر، ولا يتم ذلك إلا بفحص دقيق من خبراء متخصصين حتى يتم التأكد من أصالة القطعة الواردة، وحتى لا يفقد المتحف سمعته التى لو أصابها أى تلوث فيكون من الصعب إعادة الثقة مرة أخرى له.